العنوان:	شكل البناء وعناصره الجمالية في العصر العباسي وإنعكاساته علي الفن المعماري العالمي: مئذنة جامع الخليفة المعتصم بالله في مدينة سامراء
المصدر:	مجلة العلوم الهندسية وتكنولوجيا المعلومات
الناشر:	المركز القومي للبحوث
المؤلف الرئيسي:	عطية، سعد جهاد
المجلد/العدد:	مج5, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	يونيو
الصفحات:	58 - 72
رقم MD:	1156411
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الفن المعماري، الهندسة المعمارية، العصر العباسي، التراث العربي، العمارة القديمة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1156411

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

Journal of Engineering Sciences and Information Technology
Volume (5), Issue (2): 30 Jun 2021
P: 58 - 72

ISSN: 2522-3321

مجلة العلوم الهندسية وتكنولوجيا المعلومات
المجلد (5)، العدد (2): 30 يونيو 2021م
ص: 58 - 72

The shape of the building and its aesthetic elements in the Abbasid era and its reflections on international architecture (the minaret of the Caliph Al-Mu'tasim Billah Mosque in the city of Samarra)

Saad jihad ATTIYA

Institute of Architecture and Urbanism || Saad Dahleb University Blida 1 || ALGIRIEE

Abstract: Aquest estudi té com a objectiu aportar llum sobre els elements estètics inherents a la forma constructiva In the Abbasid era, the Islamic caliphate and its historical roots go back to the Mesopotamian civilization located on the same land and ocean. The effect of its architectural forms on the modern architectural installations found in these unique architectural forms has a historical dimension. A topic for starting in order to create new influenced forms Characteristics, shapes and elements of Islamic architecture. It also aims to know the extent of interest and keenness to visit and study the effects of Islamic civilization in the city of Samarra by researchers and architects in the world, and to publish studies and research on it as an element of art and civilization in the world. And the aesthetic and constructional meanings it carries, and the scientific dimensions related to land, climate, construction materials, the environment, and the way people live and settle in a civilized environment that has sources of stable living.

The sources were selected on the basis of books, studies related to the city of Samarra and its religious character, which is famous for the antiquities of Islamic civilization, in addition to some websites and field visits.

With the study of all the elements available on this part of the land, which prompted the Caliph Al-Mu'tasim Billah to choose it, many factors, including the military, because he wanted this city to be a camp for his soldiers, where the climate is moderate and its lands located on the Tigris River. Together, these elements may have driven the building in the siting and construction of cities by architects and experts. The most important goal of the Caliph in building this city was to build the largest mosque and the highest minaret at that time, the minaret with its style taken from the shape of temples (ziggurats) or the Tower of Babel that appeared in the Mesopotamian civilization, where the minaret took the spiral shape that rotates counter-clockwise.

This research deals with the aesthetic meanings in the form of the building and the study of shadow and light, which is one of the reasons for the distinction and uniqueness of the form, and in the end its inheritance. Because the beauty of the form is combined with its use and thus leads to an aesthetic utilitarian function. Art is the mirror of society. This effect reflects the well-being and progress of society in that historical era. Whereas, history has a historical orientalism and the aesthetic has orientalism

This city included all the elements and building codes in choosing the site that came from a continuous study and inspection by the Abbasid Caliph Al-Mu'tasim Billah who built an integrated city that contained markets, schools, housing houses, military barracks, walls and places of worship. The most important of them was the Great Mosque and its long minaret, which was distinguished by an architectural and aesthetic innovation and recorded the birth of a decorative art, the tawariq (arabesco), which is inherited to this day.

Keywords: City planning, ancient architecture, aesthetic standards, Islamic architecture, ornamentation, its illuminated minaret.

شَكل البناء وعناصره الجمالية في العصر العباسي وانعكاساته على الفن المعماري العالمي (مَئذنة جامع الخليفة المُعتصم بالله في مدينة سامراء)

سعد جهاد عطية

معهد الهندسة المعمارية والعمران || جامعة سعد دحلب البليدة 1 || الجزائر

المستخلص: هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العناصر الجمالية الكامنة في شكل البناء في العصر العباسي من الخلافة الإسلامية وجذورها التاريخية التي ترجع إلى حضارة الرافدين الواقعة على نفس الأرض والمحيط. أن تأثير أشكالها المعمارية على المنشآت المعمارية الحديثة التي وجدت في هذه الأشكال المعمارية المتفردة ذات البعد التاريخي. موضوع للانطلاق من اجل إبداع أشكال جديدة متأثرة بصفات وأشكال وعناصر الفن المعماري الإسلامي. وتهدف أيضا إلى معرفة مدى الاهتمام والحرص على زيارة ودراسة آثار الحضارة الإسلامية في مدينة سامراء من قبل الباحثين والمعماريين في العالم. ونشر الدراسات والبحوث عنها باعتبارها عنصر من عناصر الفن والحضارة في العالم. وما تحمله من المعاني الجمالية والإنشائية والأبعاد العلمية المتعلقة بالأرض والمناخ والمواد الإنشائية والبيئة وطريقة عيش الناس واستقرارهم في محيط حضاري يتوفر على مصادر العيش المستقر. تم اختيار المصادر على أساس الكتب الدراسات التي تخص مدينة سامراء وطابعها الديني والمشهورة بآثار الحضارة الإسلامية بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية والزيارات الميدانية.

ومع دراسة كل العناصر المتوفرة على هذه البقعة من الأرض والتي دفعت الخليفة المعتصم بالله لاختيارها وهي عوامل كثيرة منها العسكرية لأنه أراد أن تكون هذه المدينة معسكراً لجنده، حيث اعتدال المناخ وخصوبة أراضيها الواقعة على نهر دجلة. هذه العناصر مجتمعة ربما كانت الدافع لبناء في اختيار مواقع المدن وبنائها من قبل المعماريين والخبراء، وكان هدف الخليفة الأهم في بناء هذه المدينة هو تشييد أكبر مَسجد وأعلى مئذنة في ذلك الوقت تلك المئذنة بطرازها المأخوذ من شكل المعابد (الزقورات) أو برج بابل التي ظهرت في حضارة الرافدين، حيث أخذت المئذنة الشكل الحلزوني الذي يدور عكس عقارب الساعة.

تطرق هذا البحث إلى المعاني الجمالية في شَكل البناء ودراسة الظل والضوء وهو أحد أسباب تَميز الشكل وتَفرده وفي الأخير توارثه. لأن جمال الشكل يقترن باستخدامه وبالتالي يؤدي إلى وظيفة نفعية جمالية. أن الفن مرآة المجتمع. فان هذا الأثر يعكس صورة رفاهية وتقدم المجتمع في تلك الحقبة التاريخية. حيث أن للتاريخ استشراق تاريخي وللجمالية استشراق منطقي.

هذه المدينة التي احتوت كل عناصر وقوانين البناء من اختيار الموقع الذي جاء عن دراسة ومعاينة مستمرة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله الى بناء مدينة مُتكاملة تحتوي على الأسواق والمدارس ودور للسكن والثكنات العسكرية والأسوار ودور العبادة، وكان أهمها هو الجامع الكبير ومئذنته الملوية، التي تميزت بإبداع معماري وجمالي وسجلت ولادة فن زخرفي هو التوريق (الأرابسكو) المتوارث الى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: تخطيط المُدن، العمارة القديمة، المعايير الجمالية، العمارة الإسلامية، الزخرفة، مئذنته الملوية.

المقدمة.

يشكل موضوع العمارة الإسلامية في العصر العباسي وما أصابها من تطور، يعكسُ شكلَ الحياة ومعيشة السكان في ذلك العصر، ومن المعروف إنها شُيدت على الأسس العلمية وبتأثيرات الإرث والرصيد التاريخي المعماري لحضارة الرافدين، وهذا ما أنتج شكل معماري تراثي متميز يعكسُ مقدار وصورة التطور الذي شَملَ كل جوانب الحياة في العصر العباسي لتبدو لهم الأشكال جميلة عند معيار الوفرة والعطاء والخير، الذي يكون رديفاً للجمال، وقد ظَهر هذا على جميع الأشكال ومن بينها العمارة، واليوم نتلمس ونتعرف على هذا من خلال دراسة الآثار المعمارية وجمالياتها، وانتشارها وتوارثها من خلال تلك التأثيرات التي تَركتها على الأشكال المعمارية المعاصرة، ومن المعروف أن الآثار المعمارية للحضارة العباسية في عاصمتهم مدينة بغداد أو في مدينة سامراء بعد انتقال الخلافة إليها تعكس صورة الفن الزخرفي والتزويق والإبداع في تشكيل وحدات البناء وفي إنتاج أشكال جديدة، وتمتاز المنشآت العباسية بغنى الزخرفة وخاصة في النقوش البارزة، والسقوف الخشبية الملونة أو المحفورة مع بعض الصور التشبيهية،

والفسيفساء والمصدفات والقيشاني، بالإضافة إلى الأقواس المتعددة الأشكال والأحجام. وكشفت التنقيبات عن بعض التيجان ذات الأسلوب الكورنثي[1] حيث كان خلفاء بنو العباس يتسابقون في تشييد الأبنية والقصور والمساجد والمدن وكانوا ينفقون الكثير عليها ويستجلبون أَمهر الصناع والمهندسين والبنائين من أجل تزويقها وزخرفتها بطابع فني إسلامي جميل ممزوج بين التراث القديم وعناصر الزخرفة الإسلامية، وينفذونها بالأحجار النادرة والنفيسة، والتي تعكس عبقرية العرب وإبداعاتهم في ظل الدين الإسلامي، وهي أصالة واضحة تتناسب مع الرسالة التي حملوها مبشرين وهادين ومعمرين للمدن، إنها صورة حضارية قدمت للإنسانية الكثير. وانتقلت هذه الفنون والأشكال إلى ربوع الحضارة الإسلامية في الأندلس مما وسعَ وعَمقَ صورة الفن والحضارة وتشكيلاتها الزخرفية والحروفية.

المهم في هذا البحث هو شكل بناء مئذنة الجامع الكبير في مدينة سامراء (الملوية) فقد قمتُ بدراستها من جوانب مُختلفة لأنها تعكسُ روح الفن المعماري العربي الإسلامي وتُعتبر ابتكاراً جديداً بشكلها المتفرد الذي جَمع بينَ الجمال والجلال، وبين الظل والضوء، والارتقاء الحلزوني كعناصر مُكملة لجمالية ونضوج التصميم.

مشكلة الدراسة:

ساهمت عمارة المسجد الكبير في سامراء أثناء العصر العباسي في تَرقية وتجديد الرموز المعمارية والزخرفية والجمالية، كيف تم إنتاج هذه الأشكال وتوارثها؟ من هنا كيف يمكن لنا أن نتصور إشكالية البحث.

1- الى أي مدى نستطيع أن نتعرف على الرموز الجمالية التي جاءت بها حضارة الرافدين؟
2- ماذا أضافت هذه الحضارة إلى مجموع الحضارات الإنسانية؟ وهل كان الفن العراقي المعاصر امتداداً فكرياً ووريثاً لحصيلة الفنون الرافدية؟.
3- إن عمق وتأثير حضارة الرافدين، والإرث الحضاري الإسلامي وتوارث عناصره وأشكاله، يفرض علينا الاهتمام والمحافظة عليه، وإعادة دراسته للكشف عن المعاني الإبداعية والجمالية، ونظراً لأهمية جامع الملوية وجميع الآثار الإسلامية في مدينة سامراء. كيف نستطيع المحافظة عليه ونشر البحوث والدراسات عن هذه الآثار والمطالبة بحمايتها؟ وكيفَ نستطيع أن نستخلصَ ونَستثمَر هذه الرموز والاستفادة منها كتراث.
4- تعرفنا على بعض الشواهد المعمارية المعاصرة التي تأثرت بشكل وجمالية مئذنة الجامع الكبير (الملوية) في مدينة سامراء نتيجة البحث والدراسة الميدانية. أحاول أن اشرح (قدر المستطاع) أصل وتكوين هذا المعلم المعماري على أساس كونه مصدراً لكثير من المعالم المعمارية المشابه او المستوحاة منه والموجودة في بقع متفرقة من العالم، لإيجاد الروابط التي تجمع بين أصل ما أخذَ عنه.

أهمية الدراسة:

تنبعُ الأهمية العلمية للدراسة من أن هذه المعالم المعمارية الإسلامية وآثارها تختزن الكثير من الإبداع في مجال فن الرقش والنقش والتصميم والزخرفي بصورة عامة، الذي أنتجَ معاني جمالية، لأنها اعتمَدت على أشكال معمارية قديمة ظَهرت بتأثيرات معمارية من حضارة الرافدين، فكانت محل تكرار وتقليد وظهور أشكال معمارية حديثة تنتمي إلى صورة الملوية، ربما كان انتقال الأشكال من حضارة إلى أخرى عن طريق توارد الخواطر لكنها لا تبتعد عن الشكل الأساسي وهو شكل مئذنة الملوية في سامراء الذي وجدَ نتيجة عوامل كثيرة تَفردَ بها منها البعد التاريخي والمنطق العلمي والجمالي .

(1)- د. عفيف بهنسي، موسوعة تاريخ الفن والعمارة (الفنون القديمة) – دار الرائد العربي اللبناني، ص 413

منهجية الدراسة:

أ- منهجية الدراسة: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التاريخي الاستقرائي

ب- مصادر البيانات: مصادر البحث هي الكتب والصور، بعض المواقع الإلكترونية.

ج- حدود الدراسة: تقع حدود الدراسة في دراسة الأثر المعماري في بناء مدينة سامراء ومسجدها الكبير والمئذنة الملوية، وتأثيراتها المعمارية المحلية والعالمية،

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث. يتناول الأول منها الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة. بينما يتطرق المبحث الثاني إلى نشوء التجمعات البشرية وبناء المدن في بلاد الرافدين. المبحث الثالث هو بناء مدينة سامراء وجامعها الكبير ومئذنته الملوية، وتأثيراتها على الفن المعماري العالمي.

أولاً: الإطار النظري

هناك اتفاق عام على (أن فهم الماضي فهماً موضوعيا تقنياً يسهلُ معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل) أن بناء مدينة سامراء وما رافقها من اختيار للموقع والتخطيط من أجل توزيع جميع المرافق المهمة في هذه المدينة، وأهم معالمها وهو بناء المسجد الكبير وتفرد شكله المعماري المأخوذ من بناء (الزقورات) التي كانت تمثلٌ معابد الآلهة في جميع الحقب الحضارية القديمة لبلاد الرافدين، ونظراً لجمالية المئذنة وشكلها المُتميز جَعلها شكل قابل للتكرار أو التقليد، ومن هنا تأتي أهمية هذا الأثر الذي أعتمد على أشكال قديمة فظهَر بصورة مُتفردة وتحمل معاني جمالية ومتكررة بأشكال معمارية جَديدة ذات بعد تاريخي. ويُعد المسجد الجامع في سامراء من أهم الآثار العباسية الباقية لحد الآن وهي تقاوم عمليات التعرية والإهمال.

ثانيا – الدراسات السابقة

1- دراسة د. سلمان حميد عيسى (1985) تناول فيها دراسة مئذنة الملوية والجامع الكبير في مدينة سامراء من ضمن بحث حول العمارات الدينية الذي جاء في كتاب حضارة العراق ج 9 بغداد

2- الحيدري علي (2008) تناول موضوع هيكلة وبناء مئذنة الجامع الكبير في سامراء وآثاره على شكل البناء وزخرفته في مدينة بغداد من خلال التطورات المعمارية التي طرأت على البيت العراقي مع الزمن.

المبحث الثاني – عنوان المبحث

اولاً: إنشاء أولى التجمعات السكنية (المدن)

عَرفَ سكان العراق منذُ القدم معنى العيش ضمن جماعات في تجمع بشري على بقع جغرافية محددة الأطراف تتوفر فيها شروط المعيشة والاستقرار كالمياه وطيب المناخ تسمى المدينة في كما نعرفها اليوم. تحتوي المدينة على مجموعة من المراكز الخدمية والسكنية وعلى أسواق ومعابد وهذا ما تم التعرف عليه في الآثار القديمة للحضارات التي نشأت على ضفاف دجلة والفرات، وفيها شُيدت مدن احتوت على معابد وقصور ومساكن. والمقصود بالمدينة في الإطار الحضاري العربي يعني ظاهرة الاستقرار والتَحضر. وتنقسُم المُدن في العراق إلى مُدن قائمة مَوروثة

تَعود إلى فترات سابقة طَورها العرب المسلمون لما يَنسجمُ ومَفهوم المدينة لديهم فأقاموا المراكز الدينية وما يرتبط بها، ووفروا الخدمات العامة كالمدارس والمُستشفيات وكلُ ما يرتبطُ بها[2].

المدينةُ العربية بتخطيطها كانت تخضعُ لقوانين وأسس سواء أكان على مستوى الحجم الذي تبلغه أوعلى مُستوى المحلات وشبكة الطرق والتضاريس والمواد المناسبة المُستعملة في البناء، وعادةً ما تكونُ من تضاريس تلك الأرض التي تُشيد عليها المدن في ذلك الوقت فهي إما أن تكونَ طِينية أو حَجرية حسبَ التربة والتكوينات الجيولوجية، وتساهم المادة الأولية في إدامةِ وبَقاء البناء أو زواله نظراً لحالة المناخ كالرياح والأمطار وعوامل التعرية الأخرى. فضلاً عن الجوانب الروحية والأعراف المرافقة لممارسة الحياة اليومية بانتظام وإنسانية.

من خلال هذا أريدَ للمدينة أن تكون فاضلة قَدر المُستطاع، وفي هذا السِياق أصبحت المدينة في العراق القديم بناءٌ وانجازاً تاريخياً وحضارياً بأبعادهِ المعمارية التخطيطية المُتكاملة من أجل خدمةُ الفرد والمجتمع، ومن خلال النسيج الذي عَبرنا عنه معمارياً وتخطيطاً فهناكَ أنظمة ووحدات مِعمارية تُؤدي وَظيفتها المباشرة للناس كالأسواق والمقابر ودورِ العبادةِ ومراكزُ التعليمِ والثقافة والمنشآت العسكرية بما فيها الأسوار. وكانت بغداد مدينة السلام الذي خططها وبناها الخليفة أبو جعفر المنصور مُدورة الشكلِ مثلَ أكثر المدن التي أنشئت قديماً كمدينة الحضر[3] ومدينة واسط والمدائنِ وغيرها، ولم تكن مَدينة بغداد إلا حصناً جباراً تتوفر فيها جميعُ مرافق المقاومةِ عندَ الحصار، وأسباب المقاومة والصبر على الشَدائدِ والمِحن والحصار الذي تتركه الحروب والغزوات، وتَذكر المصادر أن طول قطر محيط هذه المدينة المدورة بلغ 2612 متراً، وأن تخطيط وتصميم المدينة كان يجري وفق مستويين: أحداهما هو ما كان يطبق حين البدء في إنشاء المدينة وهو تخطيط الإطار العام للمدينة.

ومنَ المُدن العريقة والمِؤثرة في تاريخ العراق التي اشتهرت بمئذنتها المعروفة (بالملوية) وكانت عاصمة الخلافة العَباسية حيث يبدو أن شكل المئذنة مأخوذ أو متوارث عن حضارة الرافدين التي ظَهرت ما قبل التاريخ لأنَ شَكلها كان قد ظَهَر في تصاميمَ مُختلفة مثلَ برج بابل ومَعبد الزقورة إلى مئذنة سامراء الملوية أو الحلزونية التي تحملُ عناصرَ وصفات المدينة المُتكاملة من أسواق ومنشآت معمارية وأماكنَ للعبادةِ ومُعسكرات للجند. هذا التكامل والتفرد جَعلها مركزاً للبحثِ والدراسة، نظراً لمعالمها الحضارية ومئذنتها بصورة خاصة، وتأثر الكثير من المعماريين في العالم بشكل مئذنتها الملوية لتميزه وغرابته، وما يَحملهُ من المعاني الجمالية والإنشائية والأبعاد العلمية. فظَهرت بأشكالٍ جَديدة مُعاصرة بعد إعادة تَشكيلها لكي تَتلاءم وروح العَصر لكنها تختزن نفس عناصرها الأولى.

ثانياً: مدينة سامراء مركز اجتماعي وديني

شُيدت مدينة سامراء في عهد الخليفة المعتصم بالله سنة 836/221 هـ. وقد كان تشييدها نتيجة لمتطلبات استراتيجية وبيئية. حيث سعى هذا الخليفة لاختيار بقعة من الأرض تصلحُ أن تكونَ عاصمةً له تضُم ديوان حكمه ومقراً لجيوشه خارجَ مدينة بغداد، على بعد 125 كم شمال بغداد، العاصمة الحالية لدولة العراق، وقد سميت هذه الأرض(سر من رأى)[4] وحُرِّف اسمها القديم ليُصبح (سامرا)، حينما كانت المدينة عامرة ومزدهرة، ثم أصبحت (ساء من رأى) بعدما تهدَّمت وتقوَّضت عمارتها وضعف مركزها الديني والسياسي، وفي سنة (245هـ- 859م) بنى المتوكل بالله العباسي مدينة المتوكليَّة أو الجعفريَّة، وفي سنة 237هـ كان قد شُيِّدَ المسجد الجامع بسامرَّاء ومئذنته الشهيرة (المئذنة الملوية) مدينة سامراء تعدُ من أمَّهات المدن العراقية القديمة، حيث أعتمد في تخطيطها طريقة البناء

(2) - ليواوينهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، ص 69، دار الرشيد بغداد 1981

(3) - د. خالص الأشعب (المدينة والتحضر) موسوعة حضارة العراق ج 5 ف 4، ص، 153، بغداد 1985

(4) - د. عيسى سلمان حميد، (العمارات الدينية)، موسوعة حضارة العراق ج9، بغداد 1985. ص56

الآشوري (حيث أن موقعها لم يكن بعيداً عن مواقع المدن الآشورية القديمة) التي تَعتمُد على بناء المدن ذات الصبغة العسكرية التي تشبه ثكنات الجند الكبيرة التي تُحيط بها أسوار دفاعية ذات أبواب للدفاع عن المدينة وغلقها عند مواجهة الأخطار، وتحتوي على مراكَز للحكم وقصور الملوك، ويتوسطها عادةً معبد كبير يكونُ مقراً للآلهة. أما بيوت عامة الناس فَتكون في الدرجة الثالثة وتتمركز في أطراف المدينة. لأن الإمبراطورية الآشورية اعتمَدت بالدرجة الأولى على العقيدة العسكرية والقوة والتسلط والصيد وافتعال الحروب، ويبدو أن هذا هو السبب في سقوط الإمبراطورية الآشورية. وعلى أساس هذه الفلسفة وهذه النظرة شُيدت مدينة سامراء، فأصبحت شبه ثكنة أو معسكر كبير للجند، ذلك مع توفر مناخ طيب ومساحات زراعية محيطة بالمدينة صالحة لإنتاج وفرة من الخَضر والفواكه. وهي ذات طبيعة جميلة بالإضافة إلى ووقوعها على ضفاف نهر دجلة، حيث أصبحت ذات أهمية بالغة عند سكانها، ذلك لتأثيرها الكبير على حياة المجتمع وزيادة الإنتاج، مجموع هذه العوامل جعلها جميلة في نظر السكان واصبحَ هذا معيار الوفرة والعطاء والخير، لأن الخير يكون رديفاً للجمال. كل هذه العوامل والظروف الطبيعية وفرت العناصر الأساسية لبناء مدينة تكون مركزاً للخلافة. مدينة سامراء التي ما زالت تحتفظ بكل عناصر قيامها وتكتنز الكثير من المعالم والآثار الإسلامية مع احتفاظها ببعدها وانتمائها التاريخي لحضارة الرافدين.

عادة يأخذ شكل المدينة العربية الدائري كما في مدينة بغداد المدورة أو قريبة من ذلك في مدن أخرى مثل واسط والموصل والحضر أو طويلة مستطيلة مثل سامراء. هذا الشكل الذي فرضته ضرورات المناخ والتضاريس وخصوبة الأرض. وربما أخذت شكلها من جامعها المستطيل.

ثالثاً- سامراء مدينة ومعبد

يبدأ تاريخ سامراء مع بداية تألقها الحضاري حينما كانت المدينة مركزاً للحضارة والعلوم والفنون، وكان العصر العباسي قد عرفَ تطوراً متميزاً في مجال العمارة، الذي يَحملُ عناصرهُ الجمالية، حينما كان خلفاء بنو العباس يتسابقون في تشييد الأبنية والقصور والمساجد والمدن، وكانوا ينفقون الكثير عليها ويَستجلبون أَمهَر الصناع والمهندسين والبنائين من أجل تزويقها وزخرفتها بطابع فني إسلامي جميل ممزوج بين التراث القديم وعناصر الزخرفة الإسلامية المحلية، ولأن عصرهم كان يتميز بالبذخ والرفاهية، ومن جانب آخر تأثرها بحضارة بلاد الرافدين القديمة مثل البابلية والآشورية الغنية بإتقان الوحدات الزخرفية والأعمال النحتية وتزيين الجدران. فظهَر التقدم على صعيد فن العمارة وبناء الصروح وتزيينها. [(5)] بنفس الطريقة تقريبا التي انتهجها حكام وملوك الإمبراطورية الآشورية في تشييد مدنهم وتزينها. وكان تطور العمارة سريعاً وواضحاً، حيث تَميزت العمارة العباسية بالطابع الرافدي المحض، وهذا التشابه هو دليل على استمرارية فن العمارة واستخدام المواد البنائية كالطابوق الطيني في بلاد الرافدين على مدى آلاف السنين، الحالة التي تدعم التصور بتوارث الأشكال المعمارية ومواد البناء منذ العهود السومرية مع الشعوب التي استوطنت بلاد الرافدين

(5) - رياض العزاوي (جامع سامراء الكبير. . صرح إسلامي شامخ وهو أكبر جامع في العالم)، جريدة الصباح، بغداد، آب 2013م.

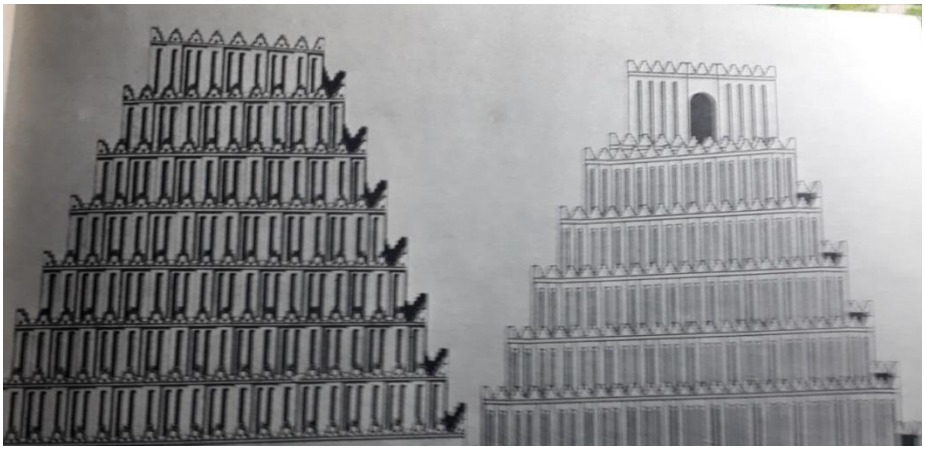

شكل رقم (1) تخطيطي يوضح بناء الزقورات في حضارة وادي الرافدين وتشابهها مع شكل مئذنة الملوية بمدينة سامراء (المصدر كتاب Assur-Andre Parrot. p228)

تميزت العمارة الإسلامية خلال عهد العباسيين بجمالها وفخامتها وبروعة صنعتها وتنوع طرزها حتى بلغت أوج ازدهارها، وخير مثال على ذلك ما خلفته حضارة العباسيين من مبان تثير الفخر والإعجاب، لعل أهمها: المسجد الكبير في سامراء (المئذنة الملوية)، المدرسة المستنصرية، القصر العباسي، قصر الأخيضر، بيت الخليفة في سامراء، قصر العاشق، الجسر العباسي. وغيرها من المعالم الأثرية الجميلة التي تحمل عناصر وجماليات وأشكال الفن العربي الإسلامي. ولتوضيح وبيان بعض معالم وجماليات فن العمارة العباسية سنتناول هنا بالشرح لواحدة من أهم تلكَ الشواهد المعمارية بطابعها وشكلها المُميز والتي ذاع صيتها على مستوى العالم، شيدت صروح معمارية في العالم مُستوحاة وبتأثيرات من شكل مئذنة الملوية باعتبارها واحدة من المباني المُثيرة والمتميزة بشكلها الحلزوني الغير تقليدي، إنها المئذنة الملوية، مئذنة الجامع الكبير في سامراء. [6]

ومن المعروف في المعايير الجمالية التاريخية. أن الآثار الفنية لا تتخذُ معناها الكامل إلا في العصر والمكان اللذينَ ولدت فيهما. وليسَ التاريخ هو الذي يُفسُر الفن بل الفن هو الذي يُضفي على التاريخ معنى[7]. وعلى هذا الأساس تَرسخَ مبدأ الفن المتواجد في هذا الأثر والذي جمع بين الجَمال والجَلال في جوانب كثيرة نظراً لتناول العناصر المُكملة منها دراسة عنصر الضوء والظل وتوظيفه بتنظيم رياضي مُستدل. أن نبض الإشعاع والظل لا ينحصر على عضو واحد أو مجموعة من العناصر، بل لقد أضفى ذلك روحاً على التكوين. وهو يتنوع مع مرور المواسم وتفاصيل اليوم الواحد لأنه يملك الصفة الاستدلالية لوقت الصلاة. بالإضافة إلى بعده الجمالي في تلوين المئذنة التي اتخذت لوناً واحداً وهو اللون البني المأخوذ من لون التربة وهو التراب الذي خلق منه الإنسان، وهو عنصر في فلسفة حضارة الرافدين الذي يعتبر أصل الخلق ولون بشرة الإنسان. ويضم جامع المتوكل عناصر معمارية أخرى جديدة منها الأقواس المفصصة والمقعرات والحنايا المحرابية التي أبدعها المعمار العربي المسلم وحقق فيها نجاحات مع استخداماتها.

تطلب بناء المدينة ومئذنتها والذي تم بأمر من الخليفة العباسي المتوكل، وذلك لمتطلبات استراتيجية وبيئية، وقد سعى هذا الخليفة لاختيار بقعة من الأرض تصلحٌ أن تكون عاصمة له تضُم ديوان حكمه ومقراً لجيوشه. خارج مدينة بغداد وكان الدافع الرئيسي لبنائها هو تكاثر جند المعتصم من الأتراك والمغاربة والبربر الذين كانوا يتواجدون في بغداد حتى صاروا يشكلون جيشاً عدته 70 ألف مقاتل فكان من الطبيعي أن يحدث احتكاك وتصادم بين هؤلاء

(6)- Wikipedia org

(7) - رفعت الجادرجي، الأخيضر والقصر البلوري (نشوء النظرية الجدلية في العمارة) دار المدى، بغداد 2013 ص، 267

الجند الغرباء وبين أهل بغداد الذين عانوا من ممارستهم التعسفية وغطرستهم وقسوتهم على المجتمع بصورة عامة والصبية والضعفاء بصورة خاصة. فكثرت أشكال المقاومة والاغتيالات لهؤلاء الجند الغرباء. فثقل ذلك على المعتصم الذي قررَ الابتعاد عن بغداد والبحث عن مكان آمن لجنده وبناء معسكر بعد أن تأكد بان وجود هؤلاء في عاصمة الدولة أمرٌ محفوف بالمخاطر. ونتيجة لذلك فقد توخي المعتصم عزل الجيش عن الأهالي فبنى لهم قطائع منفردة. حتى لا يتكرر ما حدث في بغداد مع الناس من احتكاك وتصادم. وأمَر ببناء بيوتُ الجند بعيداً عن السكان والأسواق وفصل بينهم بشوارع عريضة وطويلة. وشيد المساجد والحمامات والأسواق وقد منع المعتصم هؤلاء الجند من مُصاهرة الذين لا ينتمون إلى أجناسهم وجلب لهم الجواري وزوجهم منهن. ويبدو أن المعتصم كان يهدف من عمله هذا أمرين أولهما استمرار ولاء الجند له والمحافظة على أصولهم وثانيا المحافظة على العادات والتقاليد الاجتماعية لهم للبقاء على روحهم القتالية [8].

إن بناء سامراء على هذه الصورة جعلها القاعدة العسكرية الرئيسة للدولة العربية من سنة 221هـ إلى سنة 379هـ. ولقد فُتحت فيها الشوارع وانبتت الأشجار. وبنى المُعتصم في سامراء قصر الجوسق الخاقاني أو قصر الخلفاء الذي عُرفَ بطيسفون العرب والذي يمتازُ بأواوينه الثلاثة وبنى فيها قصر العاشق وهو أشبهُ بالقلعة ومازالت شواهده قائمة. وما زالت المئذنة الملوية بسامراء تُفصح عن سر حفظها من الفناء، فمَنْ يرتقي طريقها الشاهق، ويُدقِّق في أحجارها وهيئتها يجدها خارج الزمن بالفعل، وكأنَّها شُيِّدت بالأمس القريب. والمهم في ذلك انه بنى فيها واحد من أكبر المساجد في العالم الإسلامي في ذلك الزمن، والواقع في الجزء الغربي من العاصمة الجديدة للخلافة العباسية (سامراء)، وبسبب سعة مساحته أطلق عليه تسمية (المسجد الكبير) وهو الجامع الرئيس الثاني بالمدينة إذ تبلغ مساحته حوالي 45500 متر مربع وكان يتسع لحوالي (مئة ألف مصلي) وفيه خمسة عشر مدخلا، كما كانت تحمل سقفه الرئيسي حوالي 488 عموداً، وتطرز جدرانه المتينة العديد من الأبراج الدائرية والمحاريب المستطيلة.

إن هذا المسجد، إضافة إلى مساحته الكبيرة، تَميز بشكل مئذنته التي جعلته واحداً من أشهر مساجد العالم الإسلامي، فتلك المئذنة تميزت بطابعها المعماري الفريد وبشكلها الحلزوني الرشيق والتي تعتبر اليوم إحدى أشهر المعالم الأثرية في مدينة سامراء الواقعة شمال غرب مدينة بغداد، هذه المدينة التاريخية كانت بَهجة للناظرين وسَيدة مدن العالم خلال فترة ازدهارها التي امتدت على مدى نصف قرن ونيف من الزمن فسُميت سامرا. اختُصر فيما بعد إلى سامراء بعد أن كان اسمها (المعسكر)، تُعتبر المئذنة الملوية في سامراء من أهم مآذن العالم الإسلامي وأكثرها تفرداً وتميزاً من الناحية المعمارية والبنائية، وتعتبر أول مرة يتم فيها بناء مئذنة بهذا الحجم والارتفاع وبهذا الطراز المتميز، بشكلها الحلزوني الغريب إضافة إلى مزايا أخرى متعددة. فإذا نظرنا إلى سمات المآذن الأخرى الموجودة في العالم الإسلامي نجد إنها جميعا تشترك في كون الارتقاء اليها يتم من الداخل حتى بلوغ القمة التي يؤدي منها المؤذن الآذان، وتشترك معظم المآذن في كونها عبارة عن أبنية اسطوانية ذات نهايات مُستدقة، كما إنها جميعا تُبنى كوحدات بنائية داخلية، [9] أي ملحقة ببناء المسجد ومرفقاته الأخرى من الداخل ويحيط البناء كله سور سياج خارجي، إما مئذنة سامراء فهي تختلف عن ذلك كله، أولا بسبب شكلها اللولبي الفريد كقطعة معمارية غير تقليدية، فهي متسعة المساحة من الأسفل ويقل اتساعها صعودا حتى بلوغ القمة، فالمئذنة هذه مؤلفة من طبقات متعددة، وثانيا بسبب موقعها بالنسبة لبناء المسجد، اذ إنها تنتصب خارج سور المسجد وتقع أمام الحائط الشمالي على بعد 27، 25 مترا منه، حيث إنها بناء منفصل قائم بذاته. ثالثاً هو أن الارتقاء إلى قمتها يكون من الخارج عن طريق سُلمها الذي يدور

(8) - نفس المصدر السابق، ص58

(9) - د. طاهر مظفر العميد (العمارة العباسية في سامراء) منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد 1985، ص12

حول محورها صعوداً بعكس اتجاه عقارب الساعة، ولهذا السبب كان الناس يرون المؤذن عن بعد وهو يرتقي المئذنة فيعرفون حلول وقت الصلاة. إضافة إلى كونها أعلى وأضخم مئذنة تم بنائها في ذلك الزمن. وهي شَبيهة ببرج مراقبة للإطلالة على المدينة والمحافظة عليها عند حدوث غزو أو حرب. وتقعُ المدينة على أرض سهلية مُتسعة ولغَرض السيطرة والمراقبة ومعرفة حدودها التي تحيط بها الأسوار للمحافظة على سكانها. تُعتبر المئذنة الملوية من أغرب المنارات التي أُقيمت في العراق، ويعتقد المؤرخون أن سبب بناء الملوية بمثل هذا الارتفاع الكبير هو لكي يُسمع صوت المؤذنين بسهولة، وحتى يُمكن للمنارة أن تُرى من مسافات بعيدة، بالإضافة إلى أن الخليفة كان يصعدُ بحصانه إلى أعلى طبقات البناء ليرى مدينة سامراء من الأعلى[10].

تُعتبر ملوية سامراء من أشهر الأبنية على مستوى العالم بسبب هندستها وطرازها المُميز، ويسميها بعض الغربيين (برج بابل) أو إنهم يتوقعون أن شكل برج بابل الشهير كان على غرارها أو شبيها لها. وقد استوحى بعض المعماريين المعاصرين من شكل المئذنة الملوية تصاميمهم ومبانيهم الحديثة في العالمين العربي والغربي وبطرق محورة لكنها تحتفظ بجوهر التصميم الأساسي لشكل الملوية. يتشكل هيكل المئذنة من الشكل الأسطواني يدور حوله سلم حلزوني، وتخترق في قسمها العلوي الأسطوانة الأخيرة في البدن وينتهي بقمَّة المئذنة التي بلغ قطرها ثلاثة أمتار، وقد وصف عالم الآثار الشهير (روس) هذا الجامع في عام 1844م بأنه بناء عظيم من الآجر على شكل مستطيل أبعاده 264 × 159 خطوة، مع برج من كل زاوية، ويوجد بينهما أحد عشر برجًا صغيرًا من الجوانب الطويلة، وثمانية أبراج في الجوانب الصغيرة، وقد تهدَّمت الأروقة الداخلية وصف الأبنية الخارجي تمامًا كما نقل الآجر منها، والبناء المتبقي (ما عدا العقود فوق المداخل التي تساقطت) هو الآن في حالة حفظٍ جيّدة.

ويقول العالم الأثري (جونس) الذي زار الجامع في عام 1846م. أن كلًّا من الملوية والمدرسة قد شُيِّدا من آجرٍ جيّدٍ وبإتقانٍ كبير، يبلغ طول المدرسة 810 قدم وعرضها 490 قدم، ولها 12 دعامة بين أبراج الزاوية في الجهة الشمالية الغربية والجهة الجنوبية الشرقية، و10 دعامات في الجهة الشمالية الشرقية

والجهة الجنوبية الغربية، والمدخل الرئيس يُقابل القبلة، ويُلاحظ في الحال أصله المحمدي، ويبدو أن هناك نافورة في وسط الفناء، ويبلغ ارتفاع الجدران في الوقت الحاضر حوالي 3 قدم، وفي الجهة الجنوبية الغربية يمكن أن تميز بقايا الشبابيك المعقودة.

تقوم مئذنة الملوية في سامراء على قاعدة مربعة مؤلفة من طبقتين، الأولى طول ضلعها 31، 30 متر، وارتفاعها2، 50 مترا، والثانية مستطيلة تقريبا بأبعاد 30، 60 30 x، 40 مترا وارتفاعها 1، 70 مترا، فيكون ارتفاع القاعدة الكلي هو 4، 20 مترا. وتزين واجهات القاعدة محاريب مستطيلة (تجاويف أشبه بالنوافذ، غائرة وغير نافذة) وتعلو هذه المحاريب عقود آو أقواس مدببة، أما عدد هذه المحاريب فهو تسع في كل ضلع عدا الضلع الجنوبي اذ يحتوي ست محاريب فقط بسبب وجود سلم الملوية في هذا الجانب. إما القسم الحلزوني أي بدن الملوية فهو بناء مؤلف من خمس طبقات تتناقص مساحتها كلما ارتفع البناء، ولكل طبقة ارتفاع معين، فالطبقة الأولى السفلى يبلغ ارتفاعها10 متر والثانية 8، 12 متر والثالثة 8، 83متر والرابعة 8، 10متر، والطبقة الأخيرة ارتفاعها 8، 45 متر في قمة المئذنة يوجد قبة اسطوانية الشكل طول قطرها ثلاثة أمتار وارتفاعها 6، 40 متر[11]، وهي مسقفة وفيها ثمانية ثقوب يعتقد إنها كانت مواضع لثمانية أعمدة خشبية صممت لحمل سقيفة القبة. وهذه القمة او القبة يتم الارتقاء إليها بواسطة سلم شديد الانحدار مؤلف من 22 درجة. وأجمل ما في القسم العلوي من هذه المئذنة هو فصٌ من المشاكي

(10) - نفس المصدر السابق، ص58

(11) د. عيسى سلمان حميد، (العمارات الدينية)، موسوعة حضارة العراق ج9،، بغداد 1985. ص58

المحرابية، وعددها ثمان، تتوج البدن وترتكز عقودها على أعمدة آجريه شبه أسطوانيَّة مندمجة، ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة نحو خمسين متراً، عدا القاعدة ولها سلّم من الآجر بعرض 2، 50 متر، ويبدأ من وسط الجانب الجنوبي للمئذنة ويدور صاعدا إلى الأعلى بعكس اتجاه عقرب الساعة، وكلما ارتفع السلم ضاقت مساحته وازداد انحداره، إذ يبلغ عرض السلم في قمة الملوية حوالي 1، 90 متر. إما عدد درجات سلم الملوية فيبلغ 399 درجة ويضم الجامع عناصر معمارية أخرى جديدة، منها الأقواس المفصصة والمقعرات والحنايا المحرابية التي أبدعها المعمار العربي المسلم وحقق فيها نجاحات مع استخداماتها. ولم تقتصر تشكيلات الزينة والتزويق على جدار القبلة والمصلى حسب بل امتدَّت إلى أجزاء أخرى من هذا الجامع الكبير، فقد زُيّنت هامات الجدران من الخارج بسلسلةٍ من دوائر مقعرة داخل شكل رباعي وتظهر هذه المقعرات وكأنَّها أكاليل يُحيط بالجامع، وعددها ست بين كل برجين وقطرها متراً واحداً. ويعتقد عالم الآثار (هرتسفيلد)[12] أن السلم كان له سياج خشبي وذلك لوجود ثقوب على الجانب الخارجي منه لتثبيت قوائم ذلك السياج. وهذا يؤكد بالجامع، وعددها ست بين كل برجين وقطرها متراً واحدا. السياج لحماية الناس أو المؤذن أثناء ارتقاء المئذنة، بنيت المئذنة الملوية بالآجر المشوي

وهو مادة البناء السائدة والمتوفرة في بلاد الرافدين (في المناطق الجنوبية والوسط وتسمى الفرشي(والتي استعملها السومريون في بناء الزقورات والقصور، أما المادة الرابطة فهي الجص، وجامع المتوكل مثل مسجد الأخيضر زينة جدرانه بتشكيلات زخرفية هندسية ناتجة عن التفنن في صف الآجر، ودمج الأعمدة فهي تختلف في تقنيتها عن تشكيلات مسجد الأخيضر التي حفرت على الجبس، ومما يؤسف له أن التشكيلات التي كانت تزين بيت الصلاة قد تلفت ولم يعرف عنها شيئ. ويعتقد بعض الآثاريون أن طراز بناء الملوية مشتق من طراز بناء الزقورات العراقية من ناحية كونها مؤلفة من طبقات متعددة ترتفع فوق بعضها بمساحات تقل مع الارتفاع، إلا أن باحثين آخرين يعتبرون أن طراز وشكل الملوية هو بناء فريد ليس له نظير في جميع الأبنية قديمها وحديثها. وهذا سبب تميزها وجمال عما وهي واحدة من الابتكارات المعمارية شأنها شأن الزقورة والجنائن المعلقة والكثير من هذه الشواهد المعمارية التي تزخر بها حضارة وادي الرافدين ، تظل المئذنة الملوية فريدة في طرازها بين مآذن جوامع العالم الأثرية والحديثة، على الرغم من محاولات عديدة في نسبة شكلها إلى حضارات سابقة، فإنَّ تلك المحاولات لم تكن موفقة، والحقيقة أن تصميمها ابتكارٌ إسلامي عربي مُستمد من شكل الزقورة التي ظهرت عند سكان بلاد الرافدين، والجدير بالذكر أن هنالك مئذنة ملوية أخرى في مدينة سامراء ليس بعيداً عن المئذنة الأم، إلا أن تلك المئذنة اصغر حجماً واقل ارتفاعاً، وهي مئذنة جامع أبي دلف الشهير الذي بناه الخليفة المتوكل أيضا، ويُعتبر من المساجد الكبيرة في العراق والعالم الإسلامي إذ تبلغ مساحته حوالي 12 دونما (حوالي 30700 متر مربع)، والمئذنة الملوية لهذا المسجد يبلغ ارتفاعها حتى القمة المتهدمة نحو 19 متر، وفي حين أن الملوية الأم تتألف من خمس طبقات فأن الملوية الصغرى تتألف من ثلاث طبقات فقط، والسلم يدور صاعداً باتجاه معاكس لعقارب الساعة أيضاً [13]. والمئذنتان متشابهتان من حيث الشكل. لكنهما مختلفتين في طريقة التشييد والإنجاز أن بناء جامع الملوية متين وضخم جدًّا خصوصًا جدرانه ومئذنته، حيث قاومت عوامل التخريب، وظلَّت شاخصةً على الرغم ممَّا أصابها من بعض التلف، شُيد الجامع بطابوق وجص، وفُرشت أرضيَّته كلها بطابوق مربع صُفَّ بدقة وإتقان، وجدران الجامع ضخمة جداً متميزة بارتفاعها الذي يبلغ أحد عشر

(12) - حينما أصبحت الخزفيات الملمعة بلون بني واضحة في مطلع العصر العباسي. صور بألوان الفريسكو كانت تزين جدران قصر الجوسق الخاقاني بسامراء.

أمثلة نادرة بالغة الأهمية لأجمل ما أبدعته يد الفنان في القرون الوسطى يكشف عنها العالم الألماني (هرسفيلد) وينشرها في كتابه عن التصوير في سامراء ، ولكنها تختفي أثناء نقلها إلى ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولى وهكذا ينطوي الأثر والمأثور.

(13) - نفس المصدر السابق، ص 14

متراً، وسمكها الذي يبلغ (2، 70 م) دون الأبراج، والجدران المُدعمة بأبراج نصف أسطوانية تُوضع على قواعد مستطيلة عدا أبراج الأركان فهي شبه مستديرة يبلغ قطرها (5م).

شكل رقم (2) المئذنة والجامع والساحة الوسطية. المصدر كتاب العراق اليوم ص 63)

المبحث الثالث: أولاً التأثيرات المعمارية لشكل الملوية في العالم

تعتبر المئذنة الملوية فريدة في طرازها بين مآذن جوامع العالم الأثرية والحديثة، وعلى الرغم من محاولات عديدة في نسبة شكلها إلى حضارات سابقة، فإنَّ تلك المحاولات لم تكن موفقة. والحقيقة أن تصميمها ابتكارٌ عربي إسلامي صرف. وهي من أشهر الأبنية على مستوى العالم بسبب هندستها وطرازها المميَّز، ويُسمِّيها بعض الغربيين (برج بابل) أو أنَّهم يتوقعون أن شكل برج بابل الشهير كان على غرارها. وقد استوحى بعض المعماريين من شكل المئذنة الملوية تصاميمهم ومبانيهم الحديثة في العالمين العربي والغربي على أساس توارث الأشكال.

ومن المعروف أن المهندسة المعمارية العراقية الراحلة (زها حديد) كانت قد استوحت من شكل الزقورة والملوية وامتدادات الحرف العربي في تصاميمها المعمارية التي اشتهرت بها على المستوى العالمي.

بعد دراسة الجوانب المعمارية والفنية لجامع الملوية في سامراء، وما تحملهُ من عناصَر معمارية وصفاة جمالية وعوامل فيزيائية، عوامل جعلت هذه العمارة ظاهرة متميزة تستحق الدراسة والتأمل، لأنها امتداد لتاريخ معماري قديم الذي اعتمد مواد محلية في بنائها، الشكل الحلزوني الرشيق وفكرة الارتقاء إلى أعلى البناء دون استعمال السلالم أو المصاعد ووجود الظل والضوء، والبعد الروحي لطريقة العبادة ومناجاة الخالق وهي فكرة سومرية جُسدت في بناء غرفة في أعلى المعبد لعبادة الأقمار والنجوم. مع اختلاف الهدف والغاية على مَر العصور نتعرف على أهم الأبنية والمنشآت المعمارية التي يبدو إنها مستوحاة من شكل المئذنة.

تُعتبر الملوية اليوم إحدى أشهر المعالم الأثرية في مدينة سامرَّاء الواقعة شمال غرب مدينة بغداد، هذه المدينة التاريخية كانت بهجةً للناظرين وسيِّدة مدن العالم خلال فترة ازدهارها التي امتدَّت على مدى نصف قرنٍ ونيف من الزمن، وبسبب جمالية هذه المئذنة التي لا يوجد شبيهٌ لها في أيّ مكانٍ في العالم، وجمالية بناء المسجد الأكبر في العالم الإسلامي، أصبح هذا الأثر المعماري مركز إعجاب ودراسة معمارية، لهذا تكرر شكل بناء مئذنة الملوية في سامراء بطرق وأشكال مختلفة في إطار الحداثة التي تتطلب إجراء بعض التغييرات على الشكل وتجسيد الصفات الجمالية وكل العناصر الأخرى التي ميزت الشكل الحلزوني. ويُعدُّ المسجد الجامع مع المئذنة الملوية من الآثار التاريخية ومن أبرز معالم عهد الخلافة العباسية في مدينة سامراء حيث تشاهد آثاره إلى الآن شاخصةً وهي تُقاوم كلَّ عوامل

التخريب الطبيعيَّة على مرِّ القرون، كما يظل جامع سامراء الكبير واحدًا من الآثار المهمَّة في العالمين العربي والإسلامي، الذي يُمثِّل حضارات الإنسان العراقي في الزمن القديم، الذي كان مساهمًا فاعلًا في بناء وازدهار حضارات العالم. الكثير من المنشآت والتصاميم المعمارية في العالم اعتمدت أو تأثرت واستمدت من شكل الملوية بطرق مباشرة أو غير مباشرة يدل عليها شكلها المشابه لشكل الملوية التي تعني البعد التاريخي والحضاري الذي جمع بين العمق الحضاري والبعد الروحي لحضارة بلاد الرافدين.

الصور المرفقة للبحث تبين الترابط بين الشكل الحلزوني لمئذنة الملوية وهي كثيرة وفي مناطق مختلفة من العالم وهذا دليل على عمق وانتشار حضارة الرافدين.

ثالثاً: برج الخليفة بدولة الإمارات. من هذه المعالم المعمارية برج الخليفة بدولة الأمارات. يبدو هذا البرج الشامخ (يعد أعلى برج في العالم) ويستمد تصميم برج خليفة من نظم التنميط المتجسدة في العمارة الإسلامية، وتتضمن العناصر الثقافية والتاريخية خاصة في المنطقة مثل مئذنة الملوية. ويحتوي على تأثيرات مستمدة من شكل مئذنة الملوية الحلزونية. من الممكن أن الشكل تمت دراسته في التصاميم الأولية للبرج لأنه معلم حضاري وتاريخي يرتبط بثقافة المنطقة وأبعادها الروحية، تصميم البرج من قبل المكتب الهندسي سكيدمور، أوينغز وميريل (SOM)، بإدارة المصممة أندريك ندى الحائزة على عدة جوائز بتصميم المناطق العامة في برج خليفة. استوحي التصميم الداخلي للبرج من الثقافة المحلية، ويتميز الديكور بجدرانه المصنوعة من الجص الفينيسي، والأرضيات المُصممة من الحجر الجيري الفضي والأرضيات الحجرية، بالإضافة إلى استخدام أجود أنواع السجاد المصنع يدوياً.

بلغ ارتفاع برج خليفة 828 م، ومع مرور عام 2019م يكون البرج قد حمل لقب أطول مبنى في العالم لمدة 10 سنوات على التوالي. يتكون برج خليفة من 162 طابقاً، إذ يعد الطابق 154 والذي يبلغ ارتفاعه 584 مترًا عن الأرض أعلى طابق مسكون في البرج، وهناك 3 طوابق مراقبة، وهي الطوابق 124، و125، و148 [14] المخصصة لمشاهدة معالم المدينة العامة، حيث يعتبر الأخير أعلى سطح مراقبة في العالم وهذا يتشابه في احد أهداف بناء الملوية برغم الفارق الزمني .

(14) - الموقع Mowdoo 3com. معالم سياحية

شكل رقم (3) برج خليفة بدبي وهو أعلى برج في العالم حيث بلغ ارتفاعه 828 متر. وتبدو عليه تأثيرات شكل مئذنة الملوية. المصدر/الموقع الإلكتروني mowdoo3 comمعالم سياحية)

شكل رقم (4) يبين هذا الشكل أهم المعالم المعمارية المستوحاة من شكل بناء مئذنة الملوية في مدينة سامراء والتي تتشابه مع شكل الأصلي للبناء. المصدر هو عبارة عن تجميع صور متعددة من مواقع إلكترونية مختلفة)

ثانياً: خلاصة البحث

لقد كان هذا الجهد المتواضع هو حصيلة لما دار في فصول هذه البحث، وفي الحقيقة أن الباحث كلما تعمقَ في هذه الدراسة، كلما ازدادت وتفتحت له آفاق جديدة لمعرفة المزيد عن العمارة والفنون في حقبة الخلافة العباسية في العراق، وقد قمت بدراسة خاصة لمَعلم حضاري مُميز ظهَر في تلك الحقبة، التي شهدت تطوراً كبيراً في العلوم والفنون وكانت مركزاً للتطور ونشر الفكر الإسلامي الذي حَمل للعالم تعاليم الحق والعدالة والمعرفة، ونقلَ البشرية من الظلمات إلى النور،

إن فن العمارة وما رافقها من تطور للفنون في حضارة الرافدين الزخرفية والخطية، وهو وحدة متكاملة تصنعهُ عدة عوامل مرتبطة بشخصية الإنسان وعوامل البيئة والمناخ والعادات الاجتماعية، حيثُ ظهرتَ عليها لمسات التجميل، وأخذت هذه الأشكال الزخرفية في تجسيدها مساراً تجريداً أو رمزياً، فهي لا تظهر شكل البشر أو الحيوانات أو الطيور، لأنه كان يزخرف فحسب مكوناً زخارفه من وحدات خطية، أحياناً هندسية، وفي العصر العباسي تحولت هذه الأشكال الزخرفية، إلى زخرفة نباتية وهندسية، ويبدو إنه عندما كان الإنسان العراقي القديم يرسمُ، فلم يكن ذلك بهدف ديني فحسب، بل هو نتيجة لخيال خصب ممتع زادت قدرت الإنتاج وكبرت أهميته في نظر الناس وهذه القدرة في تحوير الخطوط دفعت الفنانين الى تحوير التصوير الطبيعي وأصبح تصويراً زخرفياً (15)، ولذلك فكلما زادت قدرت الإنتاج كبرت أهميته في نظر الناس .

عندما اخترت البحث في آثار مدينة سامراء وكان أهمها الجامع الكبير ومئذنته (الملوية) دفعني لدراسة كل الرموز الفنية المرافقة للعمارة فكانت الأشكال الزخرفية المتوارثة عن حضارة وادي الرافدين، شهدت تطوراً كبيراً وأصبحت عبارة عن وحدات بنائية مرافقة للبناء وهذا بفضل التطور الذي أصابَ الإنسان، فأصبحَ التخطيط للأشكال بطريقة علمية وحسابية، وهذا فضلاً عن شكل البناء المميز وأبعادهُ الإنشائية والجمالية وارتباطاته الروحية كفن إسلامي فأنتج مثل هذه التحف المعمارية برموزها الجمالية، التي أصبحت أشكال مُتوارثة رَفدت الفن المعماري العالمي.

تشير نتائج دراسة (شَكل البناء وعناصره الجمالية في العصر العباسي وانعكاساته على الفن المعماري العالمي) إلى النتائج التالية:

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث ويقترح الآتي:

1- توثيق وإبراز هذه المعالم والآثار وجعلها في متناول الفنانين والمعماريين العرب، من أجل إبراز الفن الزخرفي والخطي كمدرسة فنية ذات أبعاد تاريخية وروحية شانها شان المدارس الفنية العالمية المعروفة مثل الكلاسيكية والانطباعية والتكعيبة. . . الخ.

2- نظرا لكثرة الأعمال الفنية المستوحاة من الأشكال المعمارية الإسلامية وأبعادها التاريخية، ولعدم بلورة وتجسيد فكرة وقالب فن (الأرابسك) الذي أخذ منه الكثير من عمالقة الفن مثل (بيكاسوا).

3- الاهتمام بجانب توسيع مفهوم الفن الإسلامي والإشارة اليه كمدرسة فنية لها أصولها وقواعدها عند اقتباس وتقليد الأشكال المأخوذة منها.

4- التوسع في دراسة آثار الحضارة العباسية وما تركتهُ من معاني جمالية وفنية، لأنها ركن أساسي من أركان الفن الإسلامي وإشكالهُ الزخرفية والخطية والمعمارية. ولأن الوحدات الزخرفية الملحقة بالبناء تعتبر محاولة جديدة لإعطاء الشكل المعماري جمالية وتعبير عن الحياة والحركة التي تحتويها الجدران

5- وأخيراً وبعد أن عرفنا القيمة الفنية والجمالية للآثار والفنون الإسلامية أرى من الواجب المحافظة عليها باعتبارها تراث عالمي ثمين ومصدر الهام واكتشاف لعظمة هذه الحضارة ورموزها المعمارية، والتعريف بها وتطوير عناصرها بروح معاصرة باعتبارها انتماء وهوية نظراً للأبعاد الروحية للحرف العربي وقابليته التشكيلية كعنصر فني وجمالي، وكذلك الأشكال الزخرفية الهندسية والنباتية، ظهرت المباني الدينية معتمدة

(15) - عامر سليمان، التراث اللغوي، حضارة العراق ج1، دار الحرية للطباعة - بغداد 1985، ص. 264

على مبادئ عمرانية بسيطة ونفذت باستخدام مواد بنائية محلية محدودة، لكنها لا تخلوا من الأصول العلمية وبتقنية مُحكمة ولا تزال تستقبل السواح والزوار من مختلف أنحاء المعمورة، لمعرفة المزيد عنها وهنا تكمن عظمتها، التي تعكس صورة العصر وعمق الحضارة العربية الإسلامية بإبعادها التاريخية وعناصرها الجمالية. .

قائمة المراجع

أولاً – المراجع بالعربية

- اوينهايم، ليو، (1981) ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق دار الرشيد، بغداد العراق
- البهنسي، عفيف (1982) موسوعة تاريخ الفن والعمارة) الفنون القديمة، ط1 1982– دار الرائد العربي اللبناني
- الجادرجي، رفعت (2013) الأخيضر والقصر البلوري (نشوء النظرية الجدلية في العمارة) دار المدى، بغداد 2013
- الحيدري، علي (2008) البيت البغدادي. التطورات المعمارية التي طرأت على البيت العراقي مع الزمن) دار المدى ط1 بغداد
- عيسى. سلمان حميد (1985) حضارة العراق الجزء 9 (1985) العمارات الدينية
- القيسي ربيع، (1982) استدراكات تاريخية لمواقع أثرية، القسم الثاني مجلة سومر المجلد 38. بغداد 1982
- الملوية منارة المسجد الجامع في سامراء، مجلة سومر. المجلد 26. بغداد 1970
- نجم (علاء الدين احمد(1982) المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق بغداد1982

ثانياً - المراجع الأجنبية

- Arnold (Th and A Gullaume) The Legacy of islam. Oxford 1931
- Herzfeld (E) dnd sarre (F) Archaologisch Rise in Euphrat and Tigris –Gebieet 4 Vois ,Berline. 1911. 1920
- Parrot Andrè. Assur. Paris 1961
- Wikipedia org